الفصل التاسع والعشرون

شيوع الانحراف والتصدع

تلك النماذج من الانحرافات والتصدع التى أوجزنا الحديث حولها من أعمال قاسم أمين ، وطه حسين ، وعلى عبد الرازق ، وسلامة موسى ، ومن قبلهم : رفاعة الطهطاوى ، وإن قوبل بعضها بشدة وحزم من الأزهر ، والدولة ، والشعب المصرى المسلم ، لم يتوقف خطرها قَط ، بل كانت بمثابة « الشرارة » التى تفشّت فى هشيم جاف فأضرمت فيه النار ، وعجزت وسائل المكافحة عن إطفائها أو حصرها فى نطاقها . فقد تتابعت جهود المخربين تظهر فى كل مكان ، فالدكتور « خلف اللّه » أحد عمد الماركسية فى مصر الآن يؤلف رسالة علمية هى فى الواقع تطبيق لما أذاعه طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » حيث زعم « خلف اللّه » أن فى القرآن قصصاً خرافياً أسطورياً . ومع أن خطة الرجل قد كشف العلماء زيغها ، ووأدوها فى مهدها . فإن الرجل استطاع فى عهد الثورة المصرية الأخيرة أن يؤسس مجلة « الطليعة » التى كانت تصدرها مؤسسة الأهرام ، وهى مجلة تخصصت فى نشر الفكر العلمانى الماركسى ، وظلت قرابة ربع قرن - فيما أحسب - تناوىء الإسلام ، وتدعو إلى « التحرر » و « التقدمية » وحين توقف صدور المجلة ، وحلّت محلها مجلة « الشباب » استطاع ماركسيو جريدة الأهرام أن يستبدوا بصفحة فى جريدة الأهرام نفسها يحررونها أسبوعياً تحت عنوان : « صفحة الحوار القومى » وهى بديل عن مجلة الطليعة التى توقفت . ومما أثارته صفحة الحوار القومى عام ١٩٨٦ أن القرآن خطاب خاص من اللّه للعرب ، والهدف من هذا الزعم أن يروِّجوا لفكرة :

أن الإسلام نفسه دين للعرب وحدهم لا لغيرهم من أجناس الأرض وشعوبها . وقد دار حول هذا الموضوع جدل كبير فى الصفحة نفسها وفى صحف أخرى مصرية وعربية . والفكرة فى أساسها فكرة تبشيرية استعمارية ، والماركسية وإن كانت لا تملك برامج محددة لتبشير دينى كالصليبية ، فإنها تبشر بالنظام الماركسى الشيوعى الذى انفرط عقده الآن (١٩٨٩ - ١٩٩٠) وهم يدركون أن من أضخم العقبات أمام المد الشيوعى هو الإسلام ، فإذا أمكن تحطيم ذلك الإسلام أو حتى « تحجيمه » أمكن للشيوعية أن تتنفس بحرية فى جو طليق ؟!

ومن الموضوعات التى أثارتها « صفحة الحوار القومى » عام ١٩٨٩ بدعة القراءة الثانية للتراث ، واستكتبت فى هذا الشأن المدعو « أدونيس » أحد دعاة « الحداثة » فى الوطن العربى .

وأدونيس نفسه تسرب إلى الإسلام من النصرانية ، لا على هدى واقتناع ، ولكن ليكيد للإسلام من الداخل ، والمهم أن أدونيس هذا كتب أربع مقالات فى تلك الصفحة على مدى أربعة أسابيع متوالية من ١٩٨٩/٢/٤ وطالب فى مقالاته بإعادة القراءة للتراث . وهى عبارة تعادل : إعادة التفسير ؟!

والقرآن والسُنّة - عنده - تراث يجب إعادة تفسيرهما وإهمال ما بين أيدينا من تفاسير للقرآن الكريم ، وشروح للحديث النبوى الشريف ، وذهب إلى أن الاكتفاء بتفاسير القرآن وشروح الأحاديث المعروفة الآن ، معناه : أن القرآن قد استنفد أغراضه ، أو على حد تعبيره « استغلق » (؟!) .

أما فى الأدب بوجه عام فيدعو إلى تحريره من : الدين - والقومية لكى يبدع الأدباء العرب - يعنى المسلمين - فى نتاجهم ، ويرى أن خلو الأدب العربى من الإبداع هو خضوعه لقيود خارجية مثل القيود الدينية والخُلُقية ... إلخ .

أليس هذا هو عَيْن ما كان يروِّج له الاستعمار فى كل بلد إسلامى كان له وجود فيه ؟!

ولم يقف الانحراف والتصدع عند هذا الحد ، بل إن صحفاً كثيرة تصدر الآن فى مصر ، وفى غير مصر ، تحمل لواء التطوير وإعادة التفسير اللذين نادى بهما الاستعمار من قبل . وفى هذا الإطار المدمر ما يكتبه محمد سعيد العشماوى فى كتبه وفى الصحف السيِّارة ، وليرجع مَنْ شاء من القرّاء لكتابه « أصول الشريعة » الذى ترك فيه الإسلام شريعة بلا أصول ، مترسماً خطى غيره من هواة « التغريب » فهو مثلاً يحصر وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية بحياة النبى ﷺ لأنه كان - إذا أخطأ - صحَّح الوحى له خطأه . أما بعد انقطاع الوحى بوفاة صاحب الرسالة فلا يجب العمل بشريعة الإسلام لعدم العصمة من الخطأ ؟! وكأن الإعراض عن الإسلام هو العاصم من الخطأ عند سعيد العشماوى ؟!

*

● مثال تطبيقى :

ويطبق « العشماوى » أباطيله هذه على واقعة حروب الرِدَّة فى عهد أبى بكر رضى اللّه عنه ، ويذهب إلى جهلنا بمعرفة المصيب فيها أهو أبو بكر أم المرتدون ؟! وسبب هذا الجهل - عنده - أن الوحى كان قد انقطع ولم يعيِّن لنا مَنْ هو المصيب من الفريقين أبو بكر أم الذين ارتدُّوا عن الإسلام فى عهده ؟!

ولهذا الكاتب « شطحات » أخرى لا حصر لها مثل تحليله للربا ، ومثل التهاون فى إقامة الحدود ؟!

وأمثال المستشار العشماوى كثيرون الآن ؛ الدكتوران فؤاد زكريا ، وعبد العظيم رمضان ، والدكتور فرج فودة ، ولطفى الخولى ، وصلاح حافظ ، وأحمد بهاء الدين ، وعلى الدالى ، ومكرم محمد أحمد ، وفيليب جلاب ، والدكتور لويس عوض ، والدكتور غالى شكرى ، وأحمد عبد المعطى حجازى ، وسعيد سنبل ، وموسى صبرى ، وأحياناً - الدكتور زكى نجيب محمود ، وجل كتبه فى الماضى القريب ، وبعض مقالاته « الثلاثية » فى الأهرام تمثل هذا

الاتجاه التطويرى ، وقد سخر مرة فى حوار صحفى له نشرته روز اليوسف من الدعوة إلى تطبيق الشريعة ، وبخاصة فى « إقامة الحدود » فقال معلّقاً على « إقامة حد السرقة » : « مَنْ الذى سيقطع يد السارق : القصّاب - يعنى الجزار - أم الطبيب الذى أقسم عند بدء عمله على إسعاد البَشرية » ؟!

وقد قرأت له مقالاً فى جريدة الأهرام منذ أكثر من عشر سنوات فسّر فيه قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (١) فقال : إن المراد بالشِرعة هى شرعه العقل ؟! يعنى : ليست الوحى ؟!

وهو الذى وصف حجاب المرأة المصرية المعاصرة بأنه « رِدّة » جاء ذلك فى مقال أسبوعى بجريدة الأهرام بعنوان « رِدّة المرأة » وقال : إن الحجاب علامة التخلف والجهل ؟!

وهكذا نشأ جيل أو جيلان بعد رحيل الاستعمار العسكرى عن مصر ، يروِّج أو يروِّجان للفكر الغربى على حساب المبادىء والقِيَم الإسلامية ؛ فمن سخرية بالحجاب ، ثم الحدود الشرعية ، ثم المصطلحات الشرعية مثل : أهل الذِّمة ، والمُعَاهد ، وابن مخاض ، وبنت لبون ، وكون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، وعمل المرأة فى البيت ، واللحية ، وأدب الإسلام فى قضاء الحاجة : « لا تستقبلوا القِبْلة ولا تستدبروها » ، وتعدد الزوجات ، وكون العصمه بيد الرجل وحده ، وبيت الطاعة ، وتحريم سفر المرأة وحدها ، ورفع الأذان فجراً بالميكروفون ، وتعدد الأذان بتعدد المساجد ، ومبدأ : الزكاة والجهاد فى الإسلام ، وفصل الأزهر بين الذكور والإناث فى دور العلم ومعاهده وكلياته التابعة له ، وطعن بعض الباحثين فى القرءات القرآنية ، وإنكار بعضهم مثل « حسين أحمد أمين » ، و « أبو ريا » فى السُنّة النبوية ، وأنه لا ينبغى العمل بها لما فيها من اضطراب فى السند وفى المتن . بل إن التشكيك وصل إلى المذاهب الفقهية الأربعة ووصموها بالجمود والتخلف ، وأنها خدمت عصرها ولن تصلح لخدمة

---

(١) المائدة : ٤٨

عصرنا (؟!) ودعوا إلى فتح باب الاجتهاد « المطلق » من جديد ، ودعوا إلى مساواة المرأة بالرجل حتى فى الميراث ، ودعوا إلى تحليل الربا وصدرت بتحليله فتاوى رسمية ، وكرَّهوا الناس فى تطبيق الشريعة ، وحرَّضوا أقباط مصر على الوقوف فى طريقها ، وقسوا فى إطلاق وصف « التطرف » حتى على غير المتطرفين . لم يسلم مبدأ إسلامى فى العقيدة أو المعاملات أو السلوكيات من الهمز والغمز والتنقص ، وصار نقد أو نقض الإسلام هو السِمة الغالبة على كثير من مفكرى وكُتَّاب العصر وصحفييهم وإعلامييهم . بل إن مَنْ لا حظ له من المعرفة إلا « فك الخط » أصبح إماماً وفقيهاً مجتهداً ، لا يرى لنفسه منزلة أقل من درجات الأئمة الأعلام : مثل الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد والأوزاعى والثورى وأبى المعالى إمام الحرمين ، وأبى حامد الغزالى وغيرهم .

* * *